

— ٥٣ —

الأساليب المأثورة المعادة في أكثر الأغراض ، وهو ما ما يسمه بعض النقاد (القبالب التعبيرية) . وأكثر ما كانت تتردد هذه القبالب والأساليب في شعر الناقة .

على أن شيوع القبالب والأساليب المأثورة المعادة في الشعر الجاهلي إن عد من مظاهر الجمود ، فهو في الوقت نفسه دليل على عراققة هذا الشعر وإيغاله في القدم ، بما يسمح بفسوخ تقاليد معينة له ، يصبح لها مع مرور الزمن سلطان قاهر يبلغ حد الجمود . وهو مع ذلك ظاهرة مألوفة معروفة في كثير من الآداب قديمها وحديثها ، على درجات تختلف باختلاف الظروف والأحوال . ذلك أن من المسلم به أن قدرا كبيرا من أعمالنا يصدر عفويا من فيض ما رسخ في نفوسنا من معان وملكات .

ولكن الذي يلفت النظر في شعر الناقة هو أنه قد تجاوز في التزامه تلك الأساليب التقليدية الحدود المألوفة في غيره من الفنون الأخرى .

صوِّروا الناقة في شعرهم قبل السفر قوية خصها صاحبها بمزيد من عنايته ، فخلعها وأراحها ومنع عنها الفحول . فإذا كانت الرحلة فهي صبور نشيطة في الهاجرة ، تصل الليل بالنهار في غير ما كلل . فإذا انتهت الرحلة صوروها هزيلا ضامرة تشكو الكلال إلى صاحبها فيعزيها عما لقيت بما سيصيب صاحبها من عطاء الممدوح .

وشبهوها بحمر الوحش وبثور الوحش وبالنعامة — وهو قليل — وأسرقوا في إضافة كل ما يمكن من صور السرعة والإعياء إلى المشبه به . فالحمار مولع بأتان تنفر منه فيسرع في أثرها . وهو غيور عليها حريص على القرب منها . يذود عنها الفحول ليستأثر بها . وقد يردُّها الماء ، فيفاجئة صائد لا ينجو منه إلا بعد لأى . والثور نفور حذر يسرع في العدو لأدنى حركة